دکنز

سکروج

828
D548 cA
C.1

A.U.B. LIBRARY

تجليد
صالح الفقير
بيروت - الزروعة

٥٧٤٧
لاقائمة
2/A

828
D548cR
C.1

سكروج

رواية

اخلاقية اجتماعية

للروائي الشهير

شارلس ديكنس دكنز

عرّبها عن الانكليزية

جرجس عبد الملك

57485

بالمطبعة الاهلية * بيروت ١٩٠٩

Cat. Aug. 1938

تقدمة الرواية

للحبر الجليل كيريوس كيراثناسيوس مطران حمص وتوابعها الكلي الشرف والجزيل الاحترام

غرستم يا مولاي غرسة سقيتموها بماء اللطف فنمت وازهرت وهذه هي اول ثمارها رواية عرّبتها عن الانكليزية وصدرتها بذكر فضلكم والاعتراف بجميلكم فتكرموا بقبولها ولا زلتم منارة للهدى ما تبسّمت الازهار وصدحت الاطيار

ولدكم

جرجس عبد الملك

المقدمة

حمداً لمن اتفقت رواية النقل وشهادة العقل على وجوب وجوده وواسع الائه وجوده . وبعد فان رواية سكروج المعروفة بترنيمة عيد الميلاد هي مختصر الحلقة الاولى من سلسلة روايات للمنشئ البليغ والروائي الشهير شارلس ديكنس غايتها تهذيب الاخلاق واظهار فضيلة الاشتراك بالعواطف التي هي احدى مميزات الانسان ودعامة كبرى من دعائم العمران .

ولم اتصرّف بالترجمة الا قليلاً ليستخدمها تلامذة المدارس الذين يدرسونها بالانكليزية فتكون الفائدة اعمّ وذلك ماتصبو اليهِ النفس ويتمناه الفؤاد

الدور الاول

خيال مارلي

والى الزمان تاجراً في مدينة لندن يدعى سكروج وبسط له التوفيق كفَّه حتى صار في سعة من العيش الا ان سعة العيش لم تزده الا طمعاً واتصلت دائرة طمعه الى حدود البخل والتقتير فاستخدم ما اوتي من الذكاء تلبية لشره نفسهِ في جمع المال حتى اشتهر امره بالبخل كما اشتهر حاتم بالكرم

بقي اسم شريكه مارلي الذي استأثرت بهِ رحمة الله مرسوماً عَلَى باب المخزن عدة اعوام ولم يشا سكروج ان يمحيهِ ضناً منهُ ببعض دريهمات يدفعها القاء ذلك . والذين لم يحط علمهم بموت مارلي كانوا اذا اتوا المخزن لغرض ما ينادون تارة سكروج وطوراً مارلي اما سكروج فكان يجيب سوءالهم كانَّ الاسمين مختصان بهِ على السواء

كانت اشعَّة افكاره متجهة الى مركز مقصده على الدوام فلم يكن ليعبأ بحرِّ الصيف وبرد الشتاء او ليكترث بالسلام على الاصدقاء او لتعطفه عواطف الشفقة على الفقراء . وبما ان سجاياه كانت معروفة لدى كل واحد في المدينة لم يستوقفهُ احد في الطريق ليسلّم عليهِ او ليسأله عن مكان ما او ليطلب منهُ صدقة حتى

ان كلاب العميان[1] كانت تعرفه فاذا رأَتهُ في الطريق قادت اصحابها الى جهة اخرى وحركت اذنابها كأَنها تقول ان العمى لخير من الاعين الشرّيرة

اشتدَّ البرد في الرابع والعشرين من كانون الاول وتكاثف الضباب حتى خيم الظلام . وكان سكروج جالساً في مخزنهِ سامعاً اصوات القوم من الخارج يمشون مسرعين وينفخون بايديهم ويرفسون الارض بارجلهم ليكتسبوا حرارة الحركة تخفيفاً لالم البرد القارص . وكانت الشموع الموقدة تظهر من نوافذ المخازن كانها نقط حمراء في جسم الهواء المشبع بالضباب . والابنية القريبة من بعضها كانت تظهر كأنها خيالات او اشباح من عالم الارواح

لم يكن سكروج ليفتر عن مراقبة كاتبهِ روبرت الذي كان جالساً في محل مظلم يدوّن تحاريره وعنده قليل من النار لكنهُ لم يستطع زيادتها لان سكروج حفظ صندوق الفحم في غرفتهُ الخاصة وكان اذا رأى الكاتب آتيا وبيده الملقط ليأخذ قليلاً من الفحم تسودّ الدنيا في عينيهِ وتتأَجج نار الغضب بين جنبيهِ فيقول لكاتبهِ لا قدرة لي على احتمال هذه الحال وليس لي مفرّ منها الا بعزلك من وظيفتك . ولذا اجتهد الكاتب ان يصطلي على حرارة الشمعة غير

(١) العميان في لندن تستخدم الكلاب لترشدها في الطريق

ان الوهم لم يجد سبيلاً للاستيلاء عليهِ فخاب جهده

طرق اذني سكروج صوت سرور قائلاً كل عيد وانتم بخير فالتفت سكروج واذا بابن اخته الفريد امامهُ بوجه ملؤُه السرور واعين تعرب عما في فؤاده من الحبور. كان قد جدَّ في السير فاسرعت دورته الدموية ماحية تأثير البرد ومعوّضة عنهُ بالنشاط

سكروج : بخ عيد ! هذا وهم ليس للحقيقة فيهِ من نصيب

الفريد : لا اظنك تعتقد هكذا ايها الخال

سكروج : تبًّا لك ولعيد الميلاد . كيف تسرُّ بهِ وهو وقت تجد فيهِ ذاتك متقدماً في السن وليس في الغنى وترى في تسديد دفاترك سلسلة اشهر تدنيك من الموت . لو استطعت لحرقة حلواء العيد وكل جاهل بليد يطوف مردداً عبارة المعايدة ودفنتهُ مع وتد من شجرة العيد داخل في فؤاده

الفريد : ما هذا ياخالي !

سكروج : دع عنك الجدال وليفتكر كل منا مايشاءه فان المرء حرٌّ باتباع مايرتايه وله الخيار في انتخاب مذهب يذهب اليه

الفريد : انا لست بمعارضك فيما تعتقده وانما انت تعارضني

سكروج : من الآن فصاعداً لا اتصدَّى لك فيما ترتإيه .

فالعيد مصدر خيرات اسبغت عليك فتمتع بها سعيدا

الفريد : كم من فرصة سمحت لي بها الظروف فاضعتها ولو استخدمتها لربحت ربحاً عظيما . وكم من الامور الجليلة التي دفعها الي القدر فاهملتها وكنت من الغافلين . ولا تعجب ايها الخال ان قلت لك ان عيد الميلاد هو من جملة تلك الفرص الثمينة والامور الشريفة . واني لمتحقق ان عيد الميلاد بصرف النظر عن اعتبار اسمه الشريف وتذكاره المنيف هو وقت الشفقة والمسامحة وقت السرور والمساعدة . فيهِ تنشر الرحمة لواءها وتتحد القلوب وتحيي الضمائر وتجود يد الاغنياء بمساعدة الفقراء وتسود الالفة بين الشعوب فيتاكدون انهم ارفاق في هذه الدنيا سائرون الى القبر ومنهُ الى عالم الابدية فكيف لا اعتبر هذا العيد واجله مادمت حياً

فوقع هذا الكلام من نفس الكاتب موقع الاستحسان فصفَّق على الفور واذ شعر بما صدر منه من عدم اللياقة خجل واحنى رأسه محركاً ما كان عنده من النار القليلة

سكروج : اليس لك شغل سوى التصفيق ولكن اعلم انك ستخسر وظيفتك لتكريمك هذا العيد ثم التفت الى ابن اخته الفريد وقال لله درُّك من رجل محنَّك ومن العجب انك لست عضواً في البرلمان

الفريد : دع عنك الغضب وتعال غدا لنتناول الغذاء سوية

واذ ذاك فتح سكروج اتون فيه وشرع يقذف حمم اللعنات

والشتائم والاهانات

الفريد : ما الموجب لهذا كله

سكروج : لمَ تزوجت

الفريد : اخذ الحب مكاناً في قلبي

فاستشاط سكروج غيظاً كأن هذا الامر مناف للعقل وموجب للهزء اكثر من عبارة المعايدة ثم عزم على صرف ابن اخته من امامه فقال له اسعد الله مساءك

الفريد : انت لم تزرني ولا مرة قبل زواجي فلم جعلته الآن سبباً لعدم زيارتك

سكروج : اسعد الله مساءك

الفريد: انا لست بمحتاج اليك ولم اطلب منك شيئاً فلم لا نكون متحابّين

سكروج : اسعد الله مساءك

الفريد : يشق عليّ وايم الحق ان اراك متشبّثاً برأيك على انه لم يقع ما بيننا قبل الآن جدال في مسألة او نزاع لاجل امر ما وليس مجيئي اليك الآن الا اكراماً بعيد الميلاد اذ اني اشعر بان ذلك واجب يتقاضاني . فانا اجل هذا العيد ولا اخلّ باتمام ما يفرضه عليّ الواجب من معايدتكم ولذا اهنئكم قائلاً كل عام وانتم سالمون

سكروج : اسعد الله مساءك

وقف الفريد برهة بدون ان ينبث ببنت شفة ثم انصرف حزيناً على عماوة قلب خاله

وفي تلك الاثناء كان الكاتب قد استقبل رجلين تلوح على محياهما سيماء الفضل وفي ايديهما اقلام ودفاتر . فتقدما الى سكروج وبعد ان حياه قال احدهما ايمكنني التشرف بمخاطبة الخواجا سكروج او الخواجا مارلي

سكروج : مارلي توفي من مدة سبع سنوات

الزائر : انت تعلم ياخواجا سكروج انهُ لعمل ممدوح ان نهتم في مثل هذه المواسم الشريفة بجمع مايسدّ عوز اهل الفاقة الذين اخنى عليهم الدهر وعضهم الجوع بنابهِ . فهم يذوقون من صنوف العذاب الوانا خصوصاً في مثل هذه الايام . الوف محتاجة الى الضروريات والوف الالوف تنقصها الكماليات

سكروج : الا يوجد سجون

الزائر يوجد سجون كثيرة فيها عدد ليس بقليل ولذا لا يتسنى لهم ان يحصلوا على ما تقر بهِ عيونهم وتنشرح بهِ صدورهم . لذلك نجتهد الآن بجمع كمية من الدراهم لنبتاع لاولئك المساكين طعاماً وكسوة فبماذا تحبون ان تقيدوا اسمكم

سكروج : لا احب ان اقيد اسمي بشيء

الزائر : الظاهر انكم ترومون ان تحسنوا بدون ان يذكر اسمكم

سكروج : لا اريد ان احسن ولا ان اقيد اسمي بشيءٍ . قد ساعدت البنايات المذكورة (اي السجون) ومن كان في حالة يرثى لها فليذهب الى هناك . وطالما انا ذاتي لا احتفل بهذا العيد ولا اسر بهِ فكيف اساعد الكسالى ليتمكنوا من التعييد

الزائر : كثيرون يفضلون الموت على الذهاب الى السجون فضلاً عن ان كثيرين لا يتمكنون من الذهاب

سكروج : اذا كانوا يفضلون الموت فخريّ بهم ان يموتوا وعدمهم خير من وجودهم . واذ رأى الرجلان ان لا امل لهما بنيل مرغوبهما انصرفا حالا

ولما حان وقت الانصراف اطفأ الكاتب الشمعة ولبس برنيطته ففاجأه سكروج قائلا اظن انك تحتفل غداً بالعيد فلا تأتي الى هنا

الكاتب : اذا حسن ذلك لديكم

سكروج : ذلك ليس بمستحسن وليس من العدل اذ لو اردت ان اخصم شيئاً من اجرتك لحسبت نفسك مظلوماً ولكنك لا تعدُّني مظلوماً حينما ادفع اجرة يوم بدون ان انتفع شيئاً

الكاتب : هي مرة واحدة في السنة .

سكروج : هذا العذر لا يجدي نفعاً لسلب الدراهم في يوم

عيد الميلاد من كل سنة . غير اني اسمح لك بالتعييد على شرط ان تأتي في اليوم التالي باكراً جداً

وعد الكاتب بان يتمم ذلك وحالا اسرع الى باب المخزن فاقفله وسار فرحاً لاستقبال رفاقه وارتشاف حمياً الافراح ممزوجة ببهجة العيد

اما سكروج فذهب الى حيث كان يتناول الطعام عادة . وبعد ان فرغ من العشاء تصفح ما وجده هناك من الجرائد ثم اخذ دفتره الخاص ليصرف ما بقي من الوقت في التأمل في حساباتهِ . وكان ذلك له بمثابة صديق حميم يناجيه ويبثه اشواقهُ القلبية وعواطفهِ الحبية

ثم نهض سكروج وتوجه الى منزله وهو مسكن حقير كان لشريكه مارلي مبني على الطرز القديم محتوٍ على عدة غرف واطئة السقوف صغيرة النوافذ لا تزورها اشعة الشمس ولا الهواء النقي . منزل مظلم مهجور تكاد يد الزمان ان تمحيه من الوجود فلم يسكن فيهِ احد الا سكروج

ولما اقترب من باب منزله خيل له ان وجه شريكه مارلي على الباب باعين جامدة وشعر يتموج كان ريحا تحركه . فذهل سكروج مع انه لم يكن يعبأ بالظلام ولا بتأثير الاوهام . ثم تفرس في ذلك الوجه فلم يرَ الا حلقة الباب وحدها فاستغرب الامر وبعد ان فتح

الباب اشعل شمعة وبدا يفتش في كل الغرف فلم يجد شيئاً

واذ ذاك تقدم الى الباب واغلقه بدفعة تردَّد صداها في كل المنزل خصوصاً في الطابق السفلي حيث كانت التجار واضعة براميل الخمر

جلس سكروج على كرسيه في غرفته وكان وعاء فيهِ قليل من مرق اللحم موضوعاً على النار بالقرب منه (كان سكروج مصاباً بالزكام)

ثم نهض وخلع ثيابه ولبس ثياب النوم بعد ان اقفل باب غرفته ووضع وراءه قضيباً من الحديد لتطمان افكاره واضطجع على فراشه فاستغرق في النوم وشاهد في منامهِ ما يأتي

كان في سقف الغرفة جرس يستخدم قديماً لايصال الاشارات ما بين الغرفة والطابق الاعلى فشاهد سكروج في منامه ان ذلك الجرس بدأ يدق لذاتهِ وحينئذ ابتدأت كل اجراس المنزل تدق الى ان وقفت دفعة واحدة كما ابتدأت وخرجت من الطابق السفلي اصوات كقصف الرعود او كجر زناجير من الحديد على براميل الخمر فتذكر سكروج ما قيل في وصف الاماكن التي تقطنها الارواح انه تخرج منها اصوات اشبه بجر الزناجير . وحالا فُتح باب القبو بصوت عظيم . وكانت الاصوات تتعاظم كانها تقترب من غرفة سكروج الذي دفعته جرأته الى التصريح بقوله هذا وهم وهل مثلي يعبأ

بالاوهام بيد ان قلبه هلع خوفاً عند ما رأى شخص شريكه مارلي امامهُ لابساً ثيابه الاعتيادية ومتمنطقاً بسلسلة طويلة يجر طرفها على الارض وكانت السلسلة مؤلفة من مفاتيح وغالات ودفاتر وسندات واكياس دراهم مصنوعة من الفولاذ . وكان جسم مارلي شفافاً فتفرس فيهِ سكروج فلم يجد فيهِ امعاءً ولا اثراً لقلب تصدر عنه عواطف الشفقة . فتذكر ما قيل عن مارلي في حياته ان قلبه قدَّ من الصخر

لم يكن سكروج ليقتنع بوجود مارلي امامه مع انه دقق النظر فيهِ ملياً وشاهد ضفيرته الطويلة ورأى نفس المنديل الذي كان حول راسه وذقنه حين وفاتهِ لكنه كذَّب شهادة حواسه وحاول ان يتملص من تأثيرها فقال للخيال ماذا تريد

الخيال : اشياء كثيرة . وكان الصوت نفس صوت مارلي

سكروج : من انت

الخيال : لا تسل عمن انا الآن بل عمن كنت

سكروج : من كنت . وعزم ان يتبع سؤاله بقوله اراك تكترث باشياء لا طائل تحتها لكنه استحسن ان يستبدل ذلك بما هو اليق فقال للخيال انت روح والروح لا يدقق هكذا

الخيال : انا كنت شريكك مارلي

سكروج : اتقدر ان تجلس . وكان ينظر اليهِ نظرة المرتاب

اجتهد سكروج ان يبتدع من دهائهِ حيلة يعرقل بها الخيال ويوقعه في الارتباك ليتخلص منه فسأله هل يقدر على الجلوس حتى اذا خاب جهد الخيال في تتميم ما طلب منه وعجز عن تعليل ذلك يعود من حيث اتى لكن الخيال جلس على كرسي بجانب النار كأنّ ذلك عادة الفها

الخيال : الا تعتقد بوجودي امامك

سكروج : لا

الخيال : ماذا تريد من البراهين غير شهادة حواسك

سكروج : لا اعلم

الخيال : لمَ لا تصدق ما توحيه اليك حواسك

سكروج : طرق عارض على حواسي فجعلها تخدعني وذلك العارض هو سوء الهضم فربما انت قطعة لحم او جبن لم تهضم او حبة خردل او جزء صغير من البطاطا التي لم تطبخ جيداً اذ ان منظرك يشير الى انك خارج من المرق وليس من القبر

لم يكن سكروج محباً للهزل بل اتخذه واسطة ليخفي ما المَّ بهِ من الاضطراب والارتياع الا انه لم يفلح لان الخيال حلّ العصابة التي كانت حول ذقنه وراسه فدلع فكه السفلي ولصق بصدره .

وللحال طارت نفس سكروج شعاعاً من الخوف فجثا على ركبتيهِ وصرخ قائلاً رحمة ايها الطيف المرعب . لماذا تزعجني

الخيال : اتصدّق الآن ام لا

سكروج : اني اصدق ولكن لمَ الارواح تمشي على الارض وتأتي اليَّ

الخيال : يجب على نفس الانسان في مدة حياتهِ على الارض ان تجول ما بين اخوانهِ في الانسانية . وان لم تفعل ذلك في الحياة فهي مضطرة ان تفعله بعد الممات . وبما ان نفسي لم تجل في حياتي على الارض بل كانت ملازمة مكتبي على الدوام لذلك اتعذب الآن واطوف متنقلاً من مكان الى مكان . اطلب الهناء فلا ارى الا الشقاء وابتغي الراحة فلا اجدها وكيف اجد الراحة ونخز الضمير يبعدها عني كبعد الثريا عن الثرى

سكروج : هل تتنقل بسرعة

الخيال : على اجنحة الرياح

سكروج : اذن طفت انحاء كثيرة في مدة السبع سنوات

ولما سمع الخيال ذلك هز السلسلة التي كانت على حقويهِ وصاح قائلاً ايها الاسير المقيد بسلاسل حب الذات الا تعلم ان الارواح لا تفتر عن العمل . وان الخير الممكن ان يكون على الارض

يقتضي لاتمامه زمان طويل بل ابدية . وان كل نفس مسيحي اينما كانت ترى الحياة تضيق عن اتمام الخير المطلوب . الا تعلم ان من اهمل الفرص في حياتهِ واستعاض عن الاعمال الصالحة بعمل ما تقوده اليهِ اهواؤه الفاسدة يندم ولا يجديهِ الندم نفعاً بل يظلله الشقاء وتتبعه التعاسة اواه هكذا كنت انا وهكذا هي حالتي

ففكر سكروج في كلام الخيال حتى انتهى من سلسلة الافكار الى نتيجة ارغمته على الاذعان بان ما قاله الخيال ينطبق عليهِ

ثم التفت وقال انت كنت رجلاً صادقاً في اعمالك مستقيما في معاملاتك :

الخيال : اشغالي واعمالي ! النفع العام وحب السلام . الرحمة والشفقة حب الخير ودرء الضير ورفع شأن الانسانية هذه كلها كان يجب ان تكون اشغالي واعمالي . ان الجهل قد نسج على بصيرتك برقعاً فتهاونت ونسيت ان الحياة فرصة ثمينة ان أُهملت جرَّت عذاباً ابدياً . وماذا ينفع الانسان لو ربح العالم باسره وخسر نفسه او ماذا يعطي فداءً عن نفسهِ

ولا تسل عما المَّ بسكروج من الالم النفساني عند سماعه هذا الكلام حتى ان فؤاده كاد يتفطر غماً وكمداً . فاحنى راسه وغاص في بحر من الكآبة تدفعه عواطف الاذكار وتلعب به امواج الافكار

الخيال : انتبه قد حان وقت انصرافي

سكروج : سأنتبه فقط ارجوك ان لا تستخدم في كلامك معي قوة الخيال وضروب الاطناب والتهويل فقد وهن مني العزم حتى لم اعد قادراً على احتمال التأثرات الشديدة

الخيال : قد جلست بجانبك غير منظور اياماً عديدة . ولم يسمح لي الآن ان اخبر عن كيفية وجودي امامك منظوراً . وانما ظهوري لك وانذارك بما سيسوقه اليك القدر هو جزء من الكفارة التي يجب عليّ اتمامها . غير ان لك من الامل شعاع فان عدلت عن افكارك الأولى وغيرت اخلاقك وتتبعت سبل الهدى تنجو من الشقاء ولا يصيبك ما اصابني وينتابك ما انتابني

سكروج : اشكرك يا صديقي الوفي فان جميلك معي لا يخفى على كل ذي بصيرة وبصر

الخيال سكروج : ياتيك ثلاثة ارواح وبدونهم لا سبيل لك لتجديد الحياة انتظر الاول حينما يدق الجرس الساعة الأولى ليلا والثاني في الليلة الثانية عند الساعة الاولى ايضاً والثالث في الليلة الثالثة حينما يدق جرس الساعة الثانية عشر . ها انا ذاهب الآن تذكر ما جرى بيننا فان لك بالذكرى خير والسلام

شرع الخيال يمشي الى الوراء وكلما خطا خطوة كان الشباك

ينفتح لذاته حتى انه لما وصل اليهِ كان مفتوحاً فتحاً كاملا فخرج منهُ وللحال نهض سكروج واغلقه وتقدم الى باب الغرفة الذي دخل منه الخيال فوجده مقفلاً وحاول ان يقول وهم الا انه وقف عند المقطع الاول من الكلمة وشعر انه في احتياج عظيم الى الراحة لما اعتراه من التأثرات وما عاناه من اعمال النهار وما تكلفه من المشقة بمحادثته الخيال وطول الوقت وشدة الانفعال لخيبة الآمال وتعاسة الاحوال فاضطجع على فراشه وغرق في النوم

الدور الثاني

الروح الاول

ولما استيقظ سكروج من نومهِ كان الظلام دامساً حتى انهُ لم يميز زجاج الشباك الشفاف من الحائط الكثيف . واذ حاول ان يخترق حجب الظلماء باشعة عينيهِ الحادة سمع صوت توقيع انغام الاجراس من الكنيسة المجاورة يشير الى الساعة الثانية عشر فاستغرب الامر اذ انه قبل ان ينام كانت الساعة الثانية ونصف فعمد الى المنبّه ليقف على حقيقة الامر ويتملص من التحير والاندهال فوجد ان الوقت كان الساعة الثانية عشر وبعد ان فكر ملياً شرع يخاطب نفسه قائلاً اليس من المحتمل اني نمت الليل والنهار ثم الليل ايضاً

او ان اشعة الشمس لسبب من الاسباب قد حجبت والآن الساعة الثانية عشر ظهراً

ثم نهض من فراشهِ وحاول ان يصل الى الشباك مستهدياً بحاسة اللمس والتزم ان يزيل بكم جبتهِ الجليد عن الزجاج لينظر ما كان في الخارج على انه لم يرَ الا ضباباً كثيفاً وظلاماً مستولياً وبرداً قارصاً ولم يسمع صوت انسان ولا حيوان بل كان السكون سائدا . ولو كان الوقت نهاراً وجيش الظلمة يطرد جيش النور لوقوع قائده في احبولة الكسوف لكان سمع ضجيج الشعب يتردد في الانحاء وصراخ الفتيان ينتشر في الفضاء

رجع سكروج الى فراشهِ وجعل يضرب اخماساً لاسداس وتوغل في مجاري الافكار فاجتذبه بحر الخيال . وكان كلما اجتهد في كشف النقاب عن محيا الحقيقة تزيد عليهِ النباساً واشكالا الى ان اعياه الامر فعزم على معارضة مجرى تصوراته ليرتاح من هواجس الصدر ووساوس الفكر فلم يجد الى ذاك سبيلا

وبينما هو على هذه الحال سمع صوت جرس الكنيسة يشير الى الساعة الواحدة الا ربع فخطر على باله ما قاله خيال مارلي انهُ عند الساعة الواحدة يأتيهِ الروح الاول ورأى من الحكمة ان يبقى مستيقظاً ينتظر الروح مع ان النوم نأى عنهُ وجفا الرقاد جفونهُ لما

اعتراه من الاضطراب والمّ بهِ من الانزعاج . وكل من الخوف والالم يجعل الوقت طويلاً فلا غرو ان طال عليهِ الانتظار حتى انه كاد يجزم بان النعاس غلب عينيه فنام برهة وجيزه ولم يشعر بصوت الساعة اخيراً سمع الجرس فصرخ بفرح قائلاً هـذه هي الساعة الواحدة ولم يأت احد

ما كاد ينهي كلامه حتى سطع في الغرفة نور عظيم ويد سحبت الناموسية التي كانت حول سريره جانباً فنهض سكروج مرتعداً وقعد القرفصاء فاذا روح امامه بهيئة غريبـة جمعت بين منظر الطفل والكهل معاً . وكان حوله مادة غير طبيعية جعلته ان يظهر بعيداً وبهيئة الغلام . اما شعره فكان ابيض مرسلا الى ظهره كانّ السنين قـد حولته من السواد الى البياض بيد ان وجنتيه كانتا كوجنتي غلام في نضارة الصبا وطرارة الشباب . وكان في يده رمزاً الى عيد الميلاد غصن من الشجر الذي لا يسقط له ورق وتحت ابطه قبعته وكان النور يخرج من قمة رأسه وثيابه مزينة بالورود الصيفية

سكروج : أأنت الروح الذي انبئت بمجيئه

الروح : نعم انا هو . وكان صوته منخفضاً

سكروج ما هي غاية مجيئك

الروح : اتيت لاجل راحتك ومسرتك انهض وامش معي

فشقَّ على سكروج ان يترك البيت والفراش ويتجول في الخارج وهو لابس ثياب النوم ودرجة الحرارة كانت تحت درجة الجليد الا انه لم يرَ مناصاً من الرضوخ لامر الروح فنهض واذ رأى الروح متجهاً الى النافذة تمسك بذيله وقال ان اجتزت من النافذة فاسقط لاني انسان ولذا وضع الروح يده عَلَى صدر سكروج وقال له ها قد لمست فؤادك فاصبحت ذا قدرة على تتميم ذلك وعلى تتميم غيره ايضاً . وبينما هو يتكلم مرَّا كلاهما من الحائط ووقفا في ظاهر المدينة ما بين الحقول المغطاة بالثلج واختفت المدينة عن ابصارهما واختفى معها الضباب والظلام

سكروج : يا الهي ! انا ربيت في هذه الارض وفيها صرفت زمان الصبا ربيع الحياة

تذكر سكروج حياته الماضية في ذلك المكان وخطرت على خاطره اوقات المسرات والافراح فاستعذب الذكرى . كيف لا وهي ذكرى الشباب . وكان لهذه التذكرات تأثير في نفس سكروج حتى ان دموعه سالت على خديه

الروح : مالي ارى شفتك ترتجف . وماهذا الذي على وجنتك

سكروج : هذه بثرة . ارجوك ان تذهب بي الى حيث اشاء

الروح : الا تتذكر الطريق

سكروج : قد ندّ عن ذهني

الروح : عجباً لشروده عن ذاكرتك . فلنذهب سوية

وبينما هما سائران اشرفا على مدينة صغيرة فدخلاها وشاهدا قبة كنيستها ونهرها الكثير التعرج . واذا بزمرة اولاد ممتطين خيلاً جياداً يستقبلون ارفاقهم الذين كانوا في عربات صغيرة وآيات السرور تتلى على جباههم . وكم كان فرح الجميع بذلك الاجتماع الذي علا فيهِ هتاف المسرات وثارت كهربائية الابتهاج في القلوب وظهرت انوارها على الوجوه

ولا تسل عن فرح سكروج حينما رآهم وتذكر اسماءهم وارتشفت اذناه مدام حديثهم خصوصاً عندما شرع كل منهم يهنأ الآخر قائلا كل عام وانتم سالمون . وبعد ذلك سار كل الى بيته

الروح : هذا المشهد يمثل لك ما قد جرى حقيقة في الماضي ولتذهب الآن الى المدرسة فان هناك ولداً اعرض عنهُ ارفاقه وتركوهُ

سكروج : انا اعرف هذا الولد . واغرورقت عيناه بالدموع

ثم سارا حتى وصلا الى قصر قديم العهد مبني من القرميد وعلى السطح آلة تعرف بها جهة الريح . وكانت ابواب القصر وشبابيكه تكاد تسقط في هاوية الفناء لما مرَّ عليها من السنين وما كابدته فيها

دخل الروح وسكروج القصر فوجدا الغرف مظلمة باردة مجردة من الاثاث تتصاعد روائح العفونة من الارض والجدران . فتذكر سكروج حينما كان هو وارفاقه التلامذة يدرسون باكراً في تلك الغرف على انوار الشموع الى ان يأتي وقت الطعام ولم يكن يسمح لهم بما يكفيهم من الطعام فكانوا يأكلون لايشبعوا بل ليدرأوا عنهم الم الجوع

ثم شاهدا غرفة فيها عدّة مقاعد وكان على احدى تلك المقاعد ولد يقرأ في كتاب وبجانبهِ قليل من النار وكان الولد نفس سكروج في صغره

جلس سكروج على مقعد وبكى على نفسهِ حينما رأى ذاته مهملا من ارفاقه متروكاً في المدرسة وحده لامعزّ له ولا انيس وسمع صئي الفار في زوايا الغرفة وقرقعة الشبابيك والابواب وخرير الماء في ساحة المدرسة وحفيف اشجار الحور وزفير النار وهجمت عليهِ جيوش التصوّرات فخضعت نفسهُ لسلطة تلك التأثرات وانسحقت فلم يرَ ذاته الا بين دمع دافق وقلب خافق

مسكه الروح بيده واشار الى الولد (هو نفس سكروج في صغره) الذي كان مكباً على القراءة . واذا برجل متّشح بثياب غريبة وقف امام الشباك وكان يقود حماراً محملا حطباً وفي منطقته فاس

فصرخ سكروج ابو علي [1] ابو علي المخلص المقيم على الوداد القديم . نعم جاء الى هنا في عيد الميلاد حينما بقي الولد وحده وذهب كل ارفاقه مسكين ايها الولد . والتوأمان والنتين وارسون قد اتيا الى هنا ايضاً . وخادم الملك الذي رام التزوج بابنة الملك قابله الشيطان فجعل رأسه مكان رجليه ورجليه مكان رأسه . هو اهل لهذا وبحق نال جزاء ما كان ينويه من سوء العمل

كان سكروج ينتقل من موضوع الى آخر متحمّساً ما بين صراخ وضحك وينثر من بديع الكلام ودقيق الوصف مايذهل من جاوره من التجار لو سمعوه اذ لم يعهدوه الا منهمكاً في جمع المال لا يعبأ بما توحي النفس اليهِ الا اذا كان له صلة بتحصيل الدراهم وجمع الفلس على الفلس

وصرخ سكروج هذه هي الدرّة الخضراء اللون الصفراء الذنب لها عرف يشبه الخس . وحين رجع روبنصون من سفره قالت له مسكين روبنصون اين كنت فظن روبنصون انه يشاهد حلما . لا هي الدرّة . وهذا جمعة راكضاً الى النهر لينجو من الموت ثم التفت سكروج الى الولد فحزن وصرخ مسكين ايها الولد . ووضع يده في جيبهِ بعد ان مسح دموعه بطرف كمه وقال اريد ولكن ماالعمل قد

(١) كان الولد يقرأ في كتاب الف ليلة وليلة

مضى الوقت وهل ينفع الندم اذا زلّ القدم

الروح : مالك يا سكروج

سكروج : البارحة كان ولد يرنم ترنيمة العيد على باب منزلي فاودّ لو كنت اعطيته قليلا من الدراهم

فتبسم الروح وحرك يده قائلاً فلننظر عيداً آخر وللحال مضت السنة واتى العيد وكبر الولد واظلمت الغرفة قليلاً وظهرت فيها القذور وسقطت قطع من كلس السقف وتشققت دفات النوافذ

اما سكروج فلم يشعر بهذا التغيير وما كان يعرفهُ هو ان التلامذة ذهبت الى بيوتها لتصرف الفرصة وهو باق في المدرسة وحيداً يتمشى وعلائم الحزن بادية عليه . واذا بابنة حديثة السن دخلت المدرسة راكضة ووضعت يديها على عنق الولد وقبّلتهُ قائلة اخي العزيز هاقد اتيت لاذهب بك الى البيت الى البيت وصفّقت

الولد : الى البيت يا اختي

الابنة : نعم الى البيت . البارحة سألت والدك عما اذا كان مجيئك الى البيت ممكناً فاجابني ببشاشة انهُ يريد ذلك وارسلني على عربة لآتي بك فانت الآن رجل ولست براجع الى المدرسة ابداً . وقبل كل شيء يجب ان نجتمع في البيت سوية ونغتنم اوقات الصفاء في هذه الايام الشريفة ونستقي مياه الانس من مصدر الافراح ونرفل

في ثوب الهناء ونعيش عيشة رغيدة ونحيي حياة سعيدة

الولد : لله درُّك ما احلى مزاياكِ والطف سجاياك فصفقت البنية وقبّلتهُ قبلة مزجت روحها بروحه ووضعت يدها بيده وسارت نحو باب المدرسة وللحال ظهر امامها استاذ المدرسة فرنا بطرف عينه الى الولد وهزّ يده بيده الامر الذي لم يألفهُ الولد فيما مضى ولذا غمرته هزة الاضطراب ممزوجة بنشوة الاستغراب . ثم قاد الاستاذ الولد واختهُ الى غرفة الاستقبال وكانت الغرفة واطئة قديمة العهد مجردة من الاثاث ليس فيها سوى عدة خارطات على جدرانها وفي نوافذها كانت الكرات السماوية والارضية . واحضر لهما الاستاذ قنينة من الخمر الجيد وقليلاً من الكعك وشرع يسقيهما ثم امر الاستاذ ان يحضر لسائق العربة الذي كان على الباب ينتظر الولد واخته كاس من الخمر وان يؤتي بصندوق الولد ويسلم لسائق العربة . ولما شُدَّ الصندوق للعربة نهض الولد واختهُ فودعا الاستاذ وركبا العربة متجهين نحو البيت وقلوبهما تسبقهما من شدة الفرح

الروح : ان اختك كانت نحيفة المزاج كوردة نضرة تبسم لنور الصباح وترسل شذاها فتنتعش بهِ الارواح لكن اشعة الحرّ تذويها وخشونة الرياح تذريها واظن انها توفيت ولها بنون

سكروج : نعم لها ولد . وللحال تذكر سكروج كيف كان يعامل

ابن اخته بقساوة وشراسة فانزعج داخليا

ثم تركا المدرسة وسارا في شارع المدينة وتحققا من الزينة هناك انه كان عيد الميلاد وبينما هما سائران شاهدا مخزنا كبيراً فوقفا

الروح : ألك معرفة سابقة بهذا المحل

سكروج : نعم اعرفهُ وقد كنت عاملاً فيه، وها الشيخ فيزويك معلمي القديم

ترك الشيخ فيزويك من يده القلم ونظر الى الساعة ليعرف الوقت فكانت الساعة السابعة وللحال علت على وجههِ علائم الانشراح فضحك وقال للعاملين في مخزنه (سكروج في شبوبيته و رفيقهِ ديك) يا ولديَّ سكروج وديك كفا عن العمل واغلقا النوافذ وازيحا من هنا كل ماهو موجود حتى تكون لنا فسحة رحيبة نجلس فيها ونسر في هذه الليلة ليلة عيد الميلاد هيا ياولديَّ اسرعا

وللحال بادر الشابان ووضعا ما كان على الارض جانبا وكنَّسا الارض وهيآ المصابيح واوقدا النار ورتبا كل شيء ترتيباً حسنا . وبعد برهة اتى العازف على الكمنجة وكتاب الموسيقي بيده فجلس على مكان مرتفع ودخل الشيخ فيزويك فامراته فبناته الثلاث والشبان الستة المغرمون بهنَّ ودخلت ايضاً الخادمة مع اخيها وغيرهما حتى امتلأ المكان فنهضوا للرقص ولم يدعوا نوعاً من انواعه يفوتهم . وكان صوت الكمنجة يزيدهم نشاطاً وحماسة الى ان صفّق الشيخ فيزويك

قائلا نعما قد احسنتم يا احبائي استريحوا قليلا فوقف العازف على الكمنجة وبدأ يشرب من الخمر الجيد الذي كان موضوعاً امامه ويا كل من الكعك . ثم رقصوا ثانية وقعدوا يستريحون وحالا حضر اللحم المشوي والمسلوق وبعض الحلواء فاكلوا وشربوا ثم نهضوا يرقصون طرباً ويتمايلون عجبا حتى انهم كادوا يطيرون من عظم الابتهاج . ومع ان فيزويك وامرأته كانا ظاعنين في السن لم تفتر عزيمتهما ولا تكل قواهما من الرقص اذ ان السرور خلق فيهما همة جديدة ونشاطا عظيما . ولما صارت الساعة الحادية عشر ليلاً انفضّ الاجتماع فوقف الشيخ فيزديك وامرأته على الباب يودعان الضيوف ويهنآنهم بالعيد . وهكذا انصرف الجميع ولم يبق الا سكروج ورفيقه ديك اذ كانا ينامان في نفس المحل

وفي تلك الاثناء كان سكروج شاخصاً في المحفل مسروراً يتذكر كل شيء ثم انتبه الى الروح فرآه ينظر اليه

الروح : شيءٌ جزئيٌّ ملأ قلوب هؤلاء البسطاء بعواطف الشكر والثناء واشار الى سكروج ليسمع ذاته مع ديك يتذكران افضال معلمهما وينظمان من الثناء عقوداً . ثم عاد الروح الى الحديث فقال معلمهما صرف قليلاً من الدراهم افيستحق هذا المديح كله

سكروج [1] : هو قادر على ان يجعل شغلنا في غاية ما يكون من السهولة او ان يجعله متعباً جداً وهب ان جميله مقصور على الكلام الحسن والنظرات المملوءة لطفاً ومحبة فهذا وحده يكفي لان يجعل العيش هنيئاً والحياة حلوة نعم هذه سعادة لا تثمن

قال هذا سكروج وسكت طويلاً فسأله الروح ما لك صامتاً فاجابه قائلاً اني افتكر بامر زهيد

الروح : ما هو هذا الامر

سكروج : اودُّ ان ارى كاتبي الآن لاقول له كلمة واحدة فقط بعد ما افتكر به

الروح : وقت انصرافي قد حان

سكروج : اسرع وانقلني من هذا المكان

الروح : قد قلت لك آنفاً ان ما تراه الآن هو صورة الماضي

سكروج : انقلني من هذا المكان . لا قدرة لي على احتمال هذه الحالة . ارجعني الى محلي

ثم شعر سكروج بان قواه قد خارت وكاد النعاس يغلب عينيهِ فوجد ذاته في منزله ضمن غرفته فاضطجع على فراشهِ وحالاً غرق في النوم .

(١) يتكلم هنا سكروج كما كان يفتكر حينما كان في المخزن رفيقاً لديك

الدور الثالث

الروح الثاني

استيقظ سكروج من نومهِ العميق المصحوب بغطيط مكرب وجلس على فراشه ليجمع افكاره ويستحضر لمقابلة الروح اذ كان الوقت قريباً فازاح الناموسية عن سريره وشرع يلتفت ذات اليمين وذات الشمال حتى لا يداهمه الروح على غرَّة ويوقعه في الارتباك ولما سمع جرس الساعة الواحدة رأى نوراً عظيماً ينسكب على فراشه ولم يظهر له الروح ودام الامر كذلك نحو عشر دقائق فاعترتهُ الرعشة والانذهال معاً اذ تعذر عليهِ معرفة مصدر ذلك النور اخيراً خطر على باله ان ذلك النور آت من الغرفة المجاورة فنهض من فراشهِ وتقدم رويداً رويداً الى باب الغرفة واذا بصوت غريب يدعوه باسمه ويأمره بعدم الخروج فالتفت سكروج واذا بالغرفة قد تغيرت تغيراً كلياً فكنت ترى السقف والجدران مزينة بغصون الاشجار النضرة والانوار تنعكس عن اوراقها المرصعة بدرر نقط الماء . وكان في الغرفة نار كافية وصنوف من المآكل النفيسة من مثل الدجاج والوز والروستو والمقانق والموز والفطائر والبرتقال الى غير ذلك من الاطعمة الفاخرة والحلويات اللذيذة . وكان بجانب الاطعمة روح جالس على كرسي وبيده منارة

الروح : تعال الى هنا واعرفني من اتا . انت لم ترَ مثلي سابقاً

سكروج : نعم لم ارَ

الروح : هل اسعدك الحظ وسرت مع احد من اخوتي

سكروج : لا يا سيدي الك اخوة كثيرون

الروح : لي اكثر من الف وثمانمئة

سكروج : انها لعائلة كبيرة تحتاج الى مصروف باهظ

فنهض الروح واقفاً

سكروج : انا مستعد ان اذهب معك الى حيث تشاء . قد ذهبت الليلة الماضية رغماً عني ولكني تذكرت فنفعتني الذكرى واعتبرت فافادتني العبرة . والآن ان حسن لديك وراق في عينيك فلا تبخل عليَّ بما فيه الخير لي فان لك اجر والله لا يضيع اجر المحسنين

الروح : امسك ثوبي

فمسك سكروج ثوبه وحالا تركا الغرفة وسارا في شوارع المدينة غير منظورين وكانت الشوارع مزينة بزينة العيد ثم انطلقا الى ظاهر المدينة وكان الروح ذا قوة غريبة يكيف حجمه كيفما شاء وكانت المنارة بيده

وكانَ الروح كان ممن اخلصوا في السر والعلانية وحظوا

بالفضيلة الالهية فضيلة الاشتراك بالعواطف فعرّج مع سكروج على بيت كاتبه روبرت ووقف على عتبة الباب ليبارك المنزل وساكنيهِ ويري سكروج كيف تكون السعادة العائلية

ومع ان روبرت لم يكن يأخذ في الاسبوع الا خمسة عشر شلينًا فقد كانت عيشته العائلية اسعد حالاً من كثيرين من الاغنياء ذوي الثروة

اسرعت امرأة روبرت مع ابنتها بلندا واعدت المائدة للطعام وكانت ثيابهما بسيطة قديمة الا ان بساطتها لم تكن مدعاة لعدم اللياقة ولاقدم عهدها واسطة لبعدها عن الذوق فكانت نظيفة مرتبة تدل على الدعة والحشمة

ولم يكن عند روبرت ما يقدمه هدية لابنه بطرس في ذلك العيد غير طوق افرنجي فلبسه بطرس وصار يتيه عجبًا ويتباهى به ثم اخذ الشوكة وذهب ليتفقد البطاطا على النار لعلها نضجت اما اختهُ مرثا فذهبت لتخبز الوزة . ولا تسل عن فرح اخيها واختها الصغيرين حينما رأيا الوزة وتحققا انها لهما فكم صفّقا فرحين وركضا مسرعين وصرخا متهللين وكم دارا حول المائدة كانها مزار احد الاولياء او لوح الشريعة أُنزل من جبل سيناء

وكان روبرت في الكنيسة مع ابنه الصغير الاعرج توما .

فقالت الام لابنتها بلندا قد ابطأ ابوك وكذلك مرثا واذا بمرثا داخلة والوزة بيدها فاستقبلتها الام قائلة لما ابطأت يا عزيزتي ثم قبّلتها واخذت الوزة من يدها وقالت اجلسي بجانب النار فصرخ الصغيران لا هـا قد اتى ابونا فاختبئي يا مرثا فاختبأت ثم دخل الاب وابنه توما على كتفه فقال اين مرثا اجابت الام لم تأت بعد . وكان روبرت معيا من التعب حيث كان حاملاً ولده من الكنيسة حتى البيت الا ان مرثا لم تشا ازعاجه فاتت مسرعة من وراء الخزانة تضحك ورمت نفسها على ذراعيهِ فضمها الى صدره وقبّلها . وفي تلك الاثناء اخذ الصغيران توما الى المطبخ ليريـه البودين[1] على النار تغلي

الام : هل ازعجك توما بذهابهِ معك الى الكنيسة

الاب : لم يزعجني ابداً وقد سررت كثيراً بما قاله لي في الطريق وهو انا اعرج واودّ ان يراني الشعب في الكنيسة لعلهم يتذكرون من شفى المقعد وفتح عيني الاعمى فيكون لهم من عذوبة الذكرى ما يزيد سرورهم بهذا العيد

رجع توما من المطبخ يتوكأ على عكازه وحوله اخوته وجلس

(١) البودين نوع من الحلواء الانكليزية لها اهمية كبرى لا سيما في عيد الميلاد

على مقعده الخصوصي فنظر اليهِ ابوه واغرورقت عيناه بالدموع حزنا عليهِ . ثم نهضت الام واحضرت المرق الذي اعدته من قبل وشرع بطرس يدق البطاطا بنشاط و بلندا تجهز مربى التفاح والصغيران يصفان الكراسي حول المائدة وروبرت يعدُّ نوعاً من المشروبات الكحولية . وبعد ذلك احضرت الام الوزة ووضعتها على المائدة وقطعتها فتدفق ما كان في جوفها وهتف الاولاد هتاف السرور وتلألأت وجوههم نوراً وامتلأت افئدتهم حبوراً واغتبطت انفسهم بما نالهم من السعادة بنيل المطلوب وحصول المرغوب كان ذاك الطعام هو المن والسلوى وذاك الشراب شراب الملائكة

الاب : انها لوزة وايم الحق متقنة الطبخ عديمة المثال ورائحتها الزكية وهيئتها الجميلة ورخصها مما يقضي بالاستغراب فلا بدع اذا صارت موضوع الاعجاب

ثم اسرعت الام الى المطبخ لتحضر البودين فهلع قلب الاولاد لمجرد ما خامرهم من الاوهام خوفاً على البودين من ان تكون غير حسنة الطبخ او انها اهرقت على الارض او ان احداً تسلَّق الحائط وسرقها . اوهام اورثتهم القلق فتحفزوا للقبض على السارق والانتقام منه جزاء ما جنت يداه . واذا بالام مقبلة وفي يدها البودين يفوح شذاها الزكي وفي وسطها غصن نضير وهو رمز لعيد

الميلاد . فوضعت الام البودين على المائدة وسكبت عليها قليلاً من الكنياك واشعلتهُ كما كانت العادة في ذلك الزمان

روبرت : هذه البودين عجيبة لم ارَ في حياتي نظيرها لما هي عليهِ من الاتقان

امرأته : لست ادري قدر كمية الدقيق الذي وضعته فيها ويا ليتني عرفته لاعلم ما يجب ان يضاف من الدقيق حتى تصبح البودين جيدة هكذا

وكل عضو من تلك العائلة اظهر استحسانهُ لتلك البودين بما اوحاه عقله الى رسل افكاره ولم يكن احد منهم ليقل انها قليلة لا تكفي لكل العائلة اذ كان هذا يعد لديهم كفراً مطلقاً يخالفه النقل ويرفضهُ العقل

ولما انتهى الغذاء رفعت المائدة واجتمع الجميع حول النار في نصف دائرة واحضر البرتقال والكستنا والمشروب وثلاثة كؤوس من الزجاج لم يكن عندهم سواها فكانت لهم بمثابة اقداح ذهبية

ملأ روبرت كاساً وشرب نخب العائلة . وكان توما جالساً بجانبهِ فقال فليبارك نا الله وليضيء بوجههِ علينا فضمه ابوه الى صدره بلهفة ومحبة لا يدركهما الا من كان اباً حنونا

واعرب روبرت عن عزمهِ بانهُ سيضع ابنه بطرس في حرفة

يحصّل بها في الاسبوع خمسة شلينات ونصف فضحك الصغيران لسمعهما ان اخاهما بطرس سيكون ذا حرفة وشرع بطرس يفتكر باي نوع من التجارة يتجر به حينما يحصل على هذه الاجرة الباهظة

ومرثا كانت مستخدمة عند خياطة البرانيط فقالت قد تعبت البارحة كثيراً لكثرة ما كان عليَّ من الاشغال ولكني سارتاح غداً وانام الى الضحى . ثم قالت انها شاهدت من مدة في المخزن ابن امير يشبه بطرس اخاها في قامتهِ وهيئته فتبسم بطرس ولاحت على وجههِ امارات التيهِ والخيلاء

وشرع توما يرنم بصوتهِ الرخيم ترنيمة محزنة تخبر عن ولد هلك في الثلج فكان لتلك الترنيمة وقع في النفوس وتأثير في القلوب

لم تكن هذه العائلة من الاغنياء المثرين ولا من الظرفاء المشهورين ولا ممن ترتجف لسطوتهم القلوب فيأتيهم القوم صاغرين بل هي عائلة اغتنت بالقناعة عن الغنى وبجمال الخلق عن البهرجة واتخذت سلامة النية نصيراً والمحبة مرشداً خبيراً يهديها الى السعادة في جنة الفضائل حيث كوثر السلامة يتدفق وشمس الحقيقة تسطع وملائكة الهدى تقدم اكاليل الظفر للابرار المتقين

وقال الروح لسكروج انظرت كيف تكون سعادة العائلة ولنذهب الآن فسارا الى مستنقع بالقرب من ميناء مهجورة وكانت

مياه المستنقع مغطاة بالجليد وفوق الجليد طبقة من الثلج يكسوها النبات الفطري . وكانت الشمس على وشك الغروب فصبغت وجنات المغرب بدموعها الدموية وارسلت الى الغيوم اشعتها الذهبية فتألق الافق وتكلّلت رؤوس الجبال باكاليل من النور الى ان هجم عسكر الليل فسلب من الجبال تلك النعمة وزجها في سجن من الظلمة ثم غار على الافق فشوّه جمال محياه وجعله عبرة لمن يراه فاستغاث الافق بالشمس فصغت لشكواه ورقّت لبلواه واسرعت لتلحق مؤخرة العدو الكنود وتمحقه من عالم الوجود

ثم استأنفا السير فوصلا الى كوخ يقطن فيهِ بعض عملة المناجم وشاهدا هناك شيخاً وقوراً تحيط بهِ ابناؤه واحفاده وكلهم يرنمون ترنيمة العيد . ولم يطل الروح المكث هنا بل امر سكروج ان يمسك هدب ثوبهِ وطار بهِ فوق البحر وكانت الامواج تتلاطم وتزبد مسرعة الى الشاطئ لتقدم نفسها ضحيه مابين الحصى المرجانية وبعض الاعشاب البحرية ملتصقة بقاعدة المنارة تطلب الخلاص من جور الامواج . وكان الرجلان المناط بهما امر ملاحظة المنارة جالسين يتعاطيان كؤوس الشراب وما زال الروح وسكروج طائرين حتى اشرفا على مركب فوقفا عليهِ وشاهدا النوتية كل في وظيفته مبتهجاً بالعيد يتذكر احباءه القريبين والبعيدين ويحادث

رفيقه القريب منه بثغر باسم

ثم انتقلا الى بيت الفريد ابن اخت سكروج وكان الفريد مع امرأتهِ واختيها وبعض ارفاقه مجتمعين يلعبون ويضحكون وكلما تعاظم ابتهاج احدهم وانبسطت اسارير محياه تنعكس منه على نفوس الآخرين اشعة من الهناء فتزيد في صفائهم وانشراحهم . وانه لسرٌّ من اسرار الطبيعة يعرب عن حكمة المبدع الحكيم وهو ان كهربائية السرور تسري في القلوب بمجرد مشاهدة المسرورين كما تتفشى الامراض بواسطة العدوى

وقف الروح وسكروج يسمعان ما يدور من الحديث فقال الفريد: خالي يذهب الى ان عيد الميلاد حديث خرافة ووهم محض فقالت امرأته اليس من العار عليهِ ان يعتقد هكذا . وكانت امرأته آية في حسن الخُلق والخَلق لها جبهة ناصعة البياض ووجنتان كالورد في نيسان وثغر يبسم عن در وعينان تسبيان النهى وتخلبان الالباب

وبينما هم يتناولون الغذاء قال الفريد ان خالي وايم الحق رجل تمكن منه الوهم ونسجت الاهواء على بصيرتهِ حجاباً فلم يرَ اشعة الحق الصريح وهوى بهِ حب الذات الذميم الى مزالق الزلل فامسي

تائهاً في فيافي الغواية بعيداً عن سبل الرشاد وقد الححت عليهِ ليزورنا فنتناول الغذاء سوية فرفض طلبي واظن ان هذا الغذاء ليس بفاخر فلا يكون قد فاته شيء يؤسف عليه او يعبأُ بهِ

امرأته : ان هذا الغذاء حسن جداً ووافقها على ذلك سائر الحاضرين الا توبر احد اصحاب الفريد فقال ان لا رأي له في المسألة اذ انه عازب ومن لم يكن متزوجاً لاحق له ان يحكم في اي مسألة كانت . قال هذا ونظر الى اخت امرأة الفريد السمينه

وبعد الطعام طفقوا يرتلون على الموسيقي ثم شرعوا يلعبون كاولاد وحريٌّ بالمرء ان يكون كطفل لاسيما في عيد الميلاد اذ كان المسيح نفسه طفلاً .

وكان من جملة العابهم لعبة تعرف عند العامة (بام عميش او الغميضة) فوضع توبر عصابة على عينيه بنوع لا تحجب الاشباح عن بصره وتظاهر بأنه لم يرَ شيئاً وشرع يجول في ساحة الغرفة متعقباً اخت امرأة الفريد السمينة ولم يكن يمسك سواها . ولو حاولو ان يقفوا في طريقه عمداً لكنت رأيته يتظاهر بانه آتٍ ليمسكهم ولكنه ينحرف برشاقة لا تخفى الا على الساذج ويتبع تلك الفتاة

ثم اضمر الفريد في نفسه شيئاً وقال للجميع من منكم يعرف ما

افتكر بهِ . وبعد الامعان الطويل والسؤالات العديدة وجدوا انه حيوان قبيح المنظر شرس يتكلم احيانا واحيانا يصوّت كالخنزير ويعيش في المدينة منفرداً بنفسهِ وليس هو حماراً ولا بقرة ولا هرة ولا نمراً ولا كلباً ولكنهم لم يعرفوا ذلك الحيوان اخيراً قالت اخت امرأة الفريد السمينة اليس هو خالك سكروج فضحك الفريد وقال لها نعم هو

اما سكروج فكان فرحاً بمشاهدتهم وعظمت قيمة حديثهم في نفسهِ فوصل الحبور الى صميم فؤاده على غير رويّة منه ولو سمح له الروح ان يطيل المكث هنالك لشرب نخب تلك الجماعة واثنى عليهم ثناءً عاطراً يصدر عن القلب بلغة العواطف لكنه امره بالمسير فطافا اماكن متعددة وزارا المستشفيات والسجون والمناجم والمعامل والفقراء والمتوسطين وبعض الاغنياء وكان الجميع مبتهجين بالعيد ابتهاجاً عظيماً فكانوا يرون المرض عارضاً والسجن روضة والفقر موهبة والتعب راحة . ولا بدع فان لنعمة الايمان تأثير غريب في النفوس يهبها المقدرة على عمل العجائب واجتراح الغرائب

وتعذر على سكروج ان يعلم كيف انه زار تلك الاماكن كلها في ليلة واحدة الامر الذي يقتضي لاتمامهِ عشرة ايام ولذا

خامره الشك فقال في نفسهِ لعلها اكثر من ليلة ثم التفت الى الروح فرأى شعره ابيض كانه شيخ كلَّل الشيب راسه

سكروج : اهكذا قصيرة حياة الارواح

الروح : حياتي على هذه الغبراء قصيرة جداً وستنهي في هذه الليلة

سكروج : هذه الليلة ! ها قد صار منتصف الليل فاسرع

وللحال غاب الروح عن بصر سكروج . وقرعت اجراس الكنيسة فكانت الساعة الثانية عشر فتذكر سكروج ما قاله خيال مارلي عن مجيء الروح الثالث

* * *

الدور الرابع

الروح الثالث

رفع سكروج عينيه الى العلاء فرأى روحاً منحدراً على الارض ملتحفاً بجلباب اسود لا يظهر منه سوى يد ممدودة . وحينما وصل الى الارض تقدم بهدو نحو سكروج ووقف امامه صامتاً لا يبدي حراكاً فارتعد سكروج وجثا على ركبتيه لان المنظر كان مخيفاً جداً اذ خيّل له ان الفضاء الذى يحيط بالروح مملوء ظلمة وكآبة واسرارا غويصة تحير الالباب وتقضي بالعجب العجاب

سكروج : الست انت الروح الذى انتظره . ياروح المستقبل قد ارتعدت فرائصي من هول منظرك ولكن بما اني واثق بصفاء نيّتك ومتأكد ان مجيئك لخيري واصلاحي اذعن لامرك واذهب معك حيث تشاء بقلب يعترف بفضلك الجزيل ويشكر جميلك الجميل الا تتكرم بمحادثتي

لم ينبث الروح ببنت شفة بل بقي واقفاً في مكانه ويده ممدودة

سكروج : اذهب بي اذهب بي فان الوقت قصير وثمين

سار الروح فتبعه سكروج وسار في ظله الى ان انتهيا الى وسط المدينة حيث كانت رحى الحركة دائرة والتجار منهمكين في البيع والشراء وقبض الدراهم واقتسام الارباح واعطاء السندات وقبض الحوالات وجماعة هنا نتحدث عن اصناف البضائع واخرى هناك تفتكر في بعض الامور التجارية وهي تلعب بختومها الذهبية وآخرون ينظرون في ساعاتهم ليعرفوا الوقت الى غير ذلك من الاعمال التجارية التي كان سكروج خبيرا بها

نظر سكروج الى حيث كان يقف في (البورصه) فلم يرَ ذاته مع انه كان معتاداً ان يكون هناك في ذلك الوقت من النهار ثم فتّش ما بين الجمهور فلم يعثر على ذاته لكنه لم ينزعج لانه كان يودّ تغيير اخلاقه وتحسين اطواره وابراز عزمه من حيّز الفكر الى عالم الوجود

وقف الروح بجانب زمرة من هؤلاء القوم واشار بيده الى سكروج ليصغي لحديثهم . فقال الاول منهم وكان عظيم البنية طويل اللحية : لا علم لي بتفاصيل الامر وان ما اعرفه هو انه قد توفي .

الثاني : متى توفي

الاول : الليلة الماضية

فاخرج الثالث من جيبه علبة نشوق واستنشق منها كمية كبيرة ثم قال : ما كنت اظن انه سيموت فماذا جرى له

الاول : الله يعلم

وكان ما بينهم رجل احمر الوجه وعلى طرف انفه زائدة تموج فقال هذا : ماذا عمل بدراهمه

اجاب الاول وهو يتثاوب : لست ادري ولعله تركها لاصحابه التجار على انني متأكد بانه لم يتركها لي

فضحك الجميع لكلامهِ . وكان سكروج مستغرباً كيف ان الروح ينتبه لحديث تافه كهذا . الا انه عاد فافتكر انهُ ربما يوجد في ذلك الحديث قصد مهم فاجتهد ان يعرف حقيقة الامر ولم يكن ثمَّ ما يشير الى ان حديثهم عن كان شريكه مارلي لان مارلي قد توفي من زمن مديد والروح كان روح المستقبل

ثم انطلقا الى قسم من المدينة منفرد بذاته لم تطأه قدم سكروج سابقاً لسفالة اهله وقبح سيرتهم . وكانت الطرق ضيقة قذرة والمساكن صغيرة حقيرة . وكان القوم هناك قبيحو المنظر عراة متوحشين ينفر منهم الطبع ويمجهم الذوق السليم وعلى الجملة فقد كان ذلك القسم من المدينة منغمساً بالاثم والتعاسة والشقاء

وكان هناك محل صغير ذو سقف مسطّح يمتدُّ من الامام الى الارض تقريباً وفيه قطع من الحديد وبعض الثياب الرثة وقناني وعظام وامعاء بعض الحيوانات وشحمها وسلاسل ومفصّلات ومبارد وموازين وغالات ومفاتيح وما اشبه . وكان صاحب المحل جالساً بقرب النار يدخن بغليونهِ وهو شيخ اشمط يناهز السبعين عاماً وكان خسيس النفس دنياً

وقف الروح وسكروج ينظران الى الشيخ واذا بخادمة متأبطة صرّة دخلت ووضعت الصرّة امامهُ . وعقبتها غسالة حاملة مثلها ومعها غلام . ولما اجتمع الثلاثة بحضرة الشيخ وقفوا صامتين كان على رؤوسهم الطير ثم طفقوا يضحكون وقالت الخادمة : ايها الشيخ جوب قد جمعتنا الظروف هنا نحن الثلاثة لا عن قصد منا فاحفظ الترتيب وابتديء من الاول فالثاني فالثالث

الشيخ : انت ولا شك تعلمين ان هذا المحل هو محلك ولست غريبة وكذلك الاثنان الآخران تفضلوا جميعاً الى مكان الاستقبال تفضلوا . وكان المحل وراء ستار بال فجمع الشيخ النار واصلح السراج بطرف غليونهِ ثم وضعهُ في فمهِ ريثما احضرت الخادمة صرّتها فوضعتها على الارض وجلست على مقعد ووضعت مرفقيها على ركبتيها وهي

تنظر شذراً الى الغسالة والغلام

الغسالة : كان قبل موته من اشهر محبي الذات لا يكترث الا بمصلحته الشخصية افلا يجب عليَّ انا ايضاً ان انتبه لفائدتي الخصوصية ووجود هذه الاشياء الطفيفة وعدمها سيان فضلاً عن انهُ قد توفي فليس بمحتاج اليها ولو شاء المحافظة عليها بعد موتهِ لما انفرد في حياتهِ ولزم الوحدة ورفض الاقرباء والاصحاب وعاش كحيوان لا يعرف قيمة الحياة الانسانية ولم تذق نفسهُ حلاوة الاجتماع ولذة المعاشرة فكانت حياتهُ موتاً ووجوده عدماً

الخادمة : ان قولك لهو الحق فان حرمانهُ من لذة الحياة عقاب قضى بهِ العدل لشروده عن حدود الطبيعة

الغسالة : بالحقيقة انهُ كان كالباحث على حتفهِ بظلفهِ ثم التفت الى الشيخ وقالت حل الصرة ايها الشيخ جوب واخبرني عن قيمتها فاني لست بخائفة ابداً ويا ليتني قدرت ان اسرق شيئاً آخر

فركع جوب على ركبتيهِ ليسهل عليه حل الصرة ولما حلها اخرج قطعة طويلة وقال : هذه ناموسية

فضحكت الغسالة وقالت : لا تدع الزيت ينسكب على اغطية الفراش

الشيخ : اغطية فراشه

الغسالّة : ومن تظن غيره وهل ينزعج بدونها او تعتريهِ الامراض ولكن انظر هنا قميص جديد لاخرق فيهِ فهذا افضل مايوجد عنده ولو لم اخذه لكانوا ابقوه على جثته فيذهب سدى

وكان قلب سكروج يخفق من الخوف فقال للروح على الارجح اني انا هو نفس ذاك الرجل التعيس لان حالتي تؤدي الى نهاية كهذه

وبينما هو يتكلم تغير ذلك المنظر فرأى امامه سريراً لاناموسية حوله وعليه جثة باردة وليس من احد ينظر اليها او يبكي عليها او يعتني بها

سكروج : خذ عليَّ العهد ايها الروح باني لا انسى هذا المكان المخيف ولا احتقر هذه العبرة . فلنذهب من هنا عسى ان نرى احداً له المام بموت هذا المسكين فيبدي فيهِ رأيه او له علاقة معه فنرى كيف كان يعاملة وان لم ترني احدا يحزن على موته فلا تمحى هذه الصورة المرعبة من ذاكرتي ولا يهنأ لي عيش

فسار بهِ الروح في طرقات كان قد طرقها من قبل فلم يشاهد سكروج ذاته ولا شبيها بهِ وما زالا سائرين حتى انتهيا الى بيت

الكاتب روبرت الذي ذهب اليهِ سكروج سابقاً مع الروح الثاني فوجدا توما الصغير ميتاً وجثته موضوعة في غرفة من الطابق العلوي والام مع بناتها في غرفة من الطابق السفلي يخطن له ثوباً ليدفن بهِ يوم الاحد وكان الاولاد جالسين بالقرب من امهم وبطرس يقرأ فصلاً من الانجيل الشريف فسمع سكروج هذه الآية «واخذ ولداً ووضعه في الوسط» وكان الحزن مالأً قلوب الجميع خصوصاً الام فان دموعها كانت تسيل على خديها وهي صامتة ثم تركت الثوب على المائدة ووضعت يديها على عينيها قائلة النور مضرٌّ بعينيّ . واسفاه عليك ياولدي المحبوب وقالت لبطرس يابنيّ قد حان وقت مجيء والدك فانهُ ينزعج اذا رأى عينيّ هكذا فكفّ بطرس عن القراءة وقال الاحسن يا اماه ان نترك العمل الآن وننتظر والدي فانهُ ابطأ على خلاف العادة

الام : قد نظرتهُ قد نظرته اكثر من مرّة يسير في الطريق مسرعاً وتوما على كتفهِ لان محبته له كانت لاتقدّر فلم يكن يشعر بتعب مهما كانت المسافة

بطرس : نعم قد نظرته كثيراً . وهكذا قال كل واحد من اخوتهِ واخواته

ولما اتى الاب احضروا له الشاي واجتهد الجميع في ارضائهِ

حتى ان الصغيرين تقدما اليهِ ووضع كل واحد منهما وجنتهُ على وجنة من وجنتي ابيه كانهما يعزيانه ويخففان مصابه فسرَّ الاب وخاطب الجميع ببشاشة ومدح امرأته وبناتها لجدّهنَّ في الخياطة وقال ذهبت اليوم وهيأت الضريح في محل جميل ستنظرونه وقد وعدت توما ان اذهب الى هناك في ايام الآحاد

وبينما هو يتكلم اخذ منه الحزن كل مأخذ فلم يتمالك نفسه من البكاء وصرخ بحرقة وا اسفاه عليك يا ولدي توما فقد ضاق الصدر وفني الصبر . ثم صعد الى حيث كان الولد فقبَّله والدمع ينسكب من عينيهِ اخيراً عاد الى نفسهِ فاعتصم بالصبر الجميل ونزل الى عند امرأتهِ واولاده واخبرهم عن لطف الفريد ابن اخت سكروج فقال : رأيته مرة واحدة من قبل فتعرفت بهِ ولما صادفتهُ اليوم في الطريق بادرني بالسلام ولم يخف عليهِ اكتآبي فسأل عن السبب فاخبرته بموت توما فقال لي انا احزن لحزنك وحزن امرأتك الفاضلة واتاسف على خسارتكما ولكن يا عزيزي هي مشيئة الله فلا يجدي الاسف ولا ينفع اللهف وليس لنا الا التسليم لاحكامهِ تعالى والايمان بالحياة الابدية فان الله الحكيم الرحمان قد جعل للحزن مخرجاً يعرف بالصبر بلسمه الايمان . ثم قال روبرت لامرأته لو نظرته لتحققت

انه شهم خفيف الروح رقيق الشعور ذو صفات يعزُّ نظيرهـا .
ولست ادري كيف عرف ذلك

امرأته : ما الذي عرفه

روبرت : انك من النساء الفاضلات

بطرس : هذا الامر اشهر من نار على علم فكل انسان يعرفه

روبرت : نعم يا ولدي ان الفضيلة كالمسك يُعرف صاحبها من عرفها ولكن لا يشعر بذلك العرف غير ذوي النفوس الكريمة

وعاد روبرت الى الحديث عن الفريد فقال : دلني على منزله وقال لي متى احتجت شيئاً فلا تتأخر عن زيارتي لعلني اتمكن من مساعدتك . ولا شك بانه سيدبّر لبطرس شغلاً

اخت بطرس : ان بطرس سيشتغل وحده وسيأخذ له خطيبة

الاب : هذا منوط بالمستقبل فلا يعلمه الا الله ولكني متيقن

باننا لا ننسى توما ولو افترقنا فصرخ الجميع بصوت واحد حاشا ان ننسى توما وكيف ننسى من صورته مرسومة على صفحات قلوبنا

وقال سكروج للروح قد شعرت بان وقت افتراقنا قد قرب فارجوك ان تخبرني من هو ذاك الرجل الذي رأينا جثتهُ على السرير اما الروح فلم يجبه بكلمة بل سار امامه الى مخزنهِ فلم يجد سكروج ذاتهُ هناك بل رأى شخصاً آخر في مكانه . ثم استأنفا السير الى ان وصلا الى مقبرة فوقف الروح واشار بيده الى قبر من القبور

سكروج : قبل ان اقترب من هذا الضريح اخبرني حدوث هذه الاشياء في المستقبل هو من قبيل الوجوب او الامكان . فلم يجبه الروح فقال سكروج كل منهج في الحياة يؤدي الى نتيجة معينة واذا اختلفت المناهج فلا بد من اختلاف النتائج . اما الروح فبقي صامتاً ويده تشير الى القبر فتقدم سكروج ليقرأ ما كان مكتوباً على الضريح فوجد اسمه وللحال ارتعد وصرخ قائلا اذن انا هو ذاك الميّت التعيس

فاشار الروح بيده اليهِ فركع سكروج وتمسك بثوب الروح وقال قد عدلت عن خطتي الاولى وعزمت على تغيير حياتي فان

كان مصيري هكذا فما الفائدة اذن من التغيير . فلم يجبه الروح . ثم قال سكروج للروح الست بحالتي خبيراً فكن لضعفي نصيراً واكد لي ان كل ما اريتني اياه لا يتم اذا عشت عيشة فاضلة فاني من الآن فصاعداً اعتبر كل الاعياد لا سيما عيد الميلاد وابتغي الحق والعدل في كل الامور واعامل الناس باللطف وذوي الحاجة بالرحمة فاكفّر عما مضى واعيش سعيداً

وبينما هو يستغيث تغيرت هيئة الروح وغاب عن بصره فوجد ذاته في فراشه

* * *

الدور الخامس

الخاتمة

نهض سكروج من فراشهِ وقال الحمد لله الذي ينظر ولا يُنظر فيغير ولا يتغير . فقد حباني مالست اهلاً له وهداني الى الصراط المستقيم بعد ان كنت اسير المطامع والاهواء اخبط في فيافي الجهل خبط عشواء واحسب نفسي سعيداً وانا في اقصى دركات الذل والشقاء بعيداً عن راحة الضمير بعد الارض عن السماء مقيَّداً بسلاسل هيام لا يخرج عن حدّ الاوهام منزوياً في زوايا العزلة وانا بين الانام غريباً عن العواطف الانسانية محروماً من النعم الربانية لا اعرف لذّة الحياة وحلاوة المعاشرة ولم اكن اصغي لصوت الضمير او اكترث بسوء المصير . فعفواً ايتها السماء ولتتمجد الاعياد وشكراً لك يا شريكي مارلي . ها انا راكع الآن التمس الغفران منك يارحمان واعدك وعداً صادقا باني اغيّر تلك الافكار والاطوار واتجنّب ارتكاب الاوزار فهبني ايها الاله القدير المنان نعمة روحك الاقدس ودموعاً غزيرة فتتطهر نفسي بالماء والروح

واطلق لساني ليعبّر عن جناني فاعبدك بالحق والروح

وكانت دموع سكروج تسيل على خديه وهو راكع وعيناه شاخصتان نحو السماء وكأنه يلتهب التهابا من شدة الانفعال حتي انه لم يعد قادراً على التلفظ ولو نظرت الى وجهه وقتئذ لرأيت عواطفه تتكلم وتعبّر عماً في فؤاده

وبعد ذلك نهض وقال هذه هي الناموسية لم تمزق . اين انا الآن واين الثلاثة الارواح انا في منزلي والارواح ذهبت فلا ترجع اليَّ ابداً انا الآن في منزلي ولكن لست ادري ماا عمل . انا احير من ضب انا سعيد كملاك فرح كولد خفيف كريشة الطائر ثمل بدون خمر فليعد العيد بخير على كل انسان ولتكن السنة الجديدة مباركة في كل المسكونة . ثم ذهب الى الغرفة الأُخرى وقال هذا مرق اللحم هنا وهذا هو الباب الذي دخل منه خيال مارلي وتلك هي الزاوية التي وقف فيها ملاك عيد الميلاد الحاضر والنافذة التي شاهدت منها الارواح حقا لقد جرت هذه الامور كلها ولم يبق محل للريب الا انني لا اعلم المدة التي صرفتها مع الارواح ولست ادري اي يوم هذا اليوم من الاسبوع او الشهر فانا كطفل لا يدري شيئاً وياحبّذا حالة الاطفال

وبينما كان يصيح ويضحك سمع نغمات الاجراس كانها تدق له ليرقص فطار فرحاً وصرخ ياما احلى ياما اعذب ياما ابهج

واسرع الى الشباك ففتحه وشاهد نور الصباح الجميل والاطيار تصدح على الافنان بالحان تغني عن بنت الحان والغزاله بازغة من حجابها تنير الارض بما ترسلة من لعابها فابتهج بهذا المنظر ابتهاجاً يفوق الوصف . ولا غروَ فان الشمس صورة للجمال وهي ام الاكوان وميزان الزمان وعليها تتوقف حياة الانسان . وقد عبدها القدماء وهام بوصفها البلغاء وبجسنها الشعراء واليك ما قاله بشأنها العظيم حافظ ابراهيم

لاح منها حاجب للناظرين ... فنسوا بالليل وضاّح الجبين
ومحت آيتها آيته ... وتبدّت فتنة للعالمين
نظر ابراهيم فيها نظرة ... فاري الشك وما ضل اليقين
قال ذا ربي فلما افلت ... قال اني لا احب الآفلين
ودعا القوم الى خالقها ... واتي القوم بسلطان مبين
رب ان الناس ضلوا ووغوا ... ورأَوا في الشمس رأي الخاسرين
خشعت ابصارهم لما بدت ... والى الاذقان خروا ساجدين
نظروا آيتها مبصرة ... فعصوا فيها كلام المرسلين

نظروا بدر الدجى مرآتها تتجلى فيه حيناً بعد حين
ثم قالوا كيف لا نعبدها هل لنا فيما ترى العين قرين
هي أُمّ الارض في نسبتها هي أُمّ الكون والكون جنين
هي أُمّ النار والنور معاً هى أُمّ الريح والماء المعين
هي طلع الروض نوراً وجنى هي نشر الورد طيب الياسمين
هى موت وحياة للورى وضلال وهدى للغابرين
صدقوا لكنهم ما علموا انها خلق سيبلى بالسنين
أَإلهٌ لم ينزّه ذاته عن كسوف بئس زعم الجاهلين
انما الشمس وما في آيها من معان لمعت للعارفين
حكمة بالغة قد مثّلت قدرة الله لقوم عاقلين

ثم رأى ولداً في الطريق فسأله سكروج قائلاً : ما هذا اليوم يابنيّ

الولد : ان في ذلك لعجباً ! الا تعلم ان اليوم عيد الميلاد

فقال سكروج في نفسهِ اليوم عيد الميلاد اذن كل ما حدث تم في ليلة واحدة ولا بدع فان للارواح قدرة على اتمام ما يشاؤون ثم التفت الى الولد فقال : اتعرف بائع الدجاج في الشارع الثالث

الولد : نعم اعرفه

سكروج يالك من ولد نجيب هل بيعت الدجاجة الحبشية ام لا

الولد : الدجاجة الحبشية ؟ هي اكبر مني حجما

سكروج : ما اعذب حديثك وما اشهى مخاطبتك ايها الغزال اجبني هل الدجاجه بعدها هناك

الولد : نعم هناك

سكروج : اذهب واشترها

الولد : انت تمزح معي

سكروج : كلامي معك جدٌ محض اسرع واشترها ولك مني شلين

و بعد ان ذهب الولد ليأتي ببائع الدجاج ضحك سكروج وقال سافعل نكته قلما فعلها احد قبلي سارسل الدجاجة الى بيت كاتبي روبرت بدون ان اعلمه اني انا ارسلتها. هي اكبر حجما من ابنه توما. و نزل سكروج من غرفتهِ الى باب المنزل ليستقبل بائع الدجاج فوقع نظره عَلَى حلقة الباب فمسكها بيده وقال : ايتها الحلقة المحبوبة لم اكن سابقا لانتبه اليك ولكن الآن قد عظمت قيمتك لديّ فلاعتبرنك طول الحياة اذ انك تمثلين امامي الاخلاص والغيرة والوداد . وبينما هو يخاطب الحلقة اتى بائع الدجاج فاستقبله سكروج

بشاشه وقال : اهلاً وسهلا ومرحبا بك كل عيد وانت بخير . ثم دفع له ثمن الدجاجة وارسلها الى بيت كاتبه روبرت واعطى الولد شلناً ودخل غرفته فلبس افخر ثيابه وشرع يطوف في شوارع المدينة حيث كان القوم سائرين زرافات زرافات كما شاهدهم حينما كان مع ملاك العيد الحاضر وقد هنَّأه بالعيد اربعة منهم — قال اكثر من مرة فيما بعد انه في حياته كلها لم يسمع كلاما اوقع في النفس واعذب على القلب من تلك التهنئة

ثم انطلق الى الكنيسة وجال في الازقَّة يلاطف الاولاد ويخاطب الفقراء وينظر الى شبابيك القصور وفؤاده مملوء من السرور وعلى الجملة فقد كان يرى الارض سماءً والناس ملائكة . وبعد الظهر عرَّج على بيت ابن اخته الفريد ولما وصل الى باب المنزل لم يتجرأ على الدخول فتنازعه عاملان الاحجام والاقدام اخيراً تشجع وقرع الباب فخرجت اليهِ ابنة جميلة الطلعة فسألها سكروج قائلا : اهنا معلمك ياعزيزتي

الابنة : نعم هنا

سكروج : ماذا يعمل

الابنة: يتناول الغذاء

فدخل سكروج ووقف على باب غرفة الطعام ونادى يا الفريد

الفريد : من هذا

سكروج : انا خالك سكروج قد اتيت لتناول الغذاء

وكان الفريد ممن يعاملون المسيئين اليهم بالتي هي احسن فلم يكن يحمل في قلبه حقدا ولا ضغينة ولم يفسح مجالا لبذور الغضب ان تنمو في احشائه وتنجم ثمار العداوة . فاستقبل خاله بما طبع عليهِ من اللطف والبشاشة والايناس . وكم كان فرح سكروج بمشاهدة الفريد وامرأتهِ واختيها وتوبر يلعبون ويضحكون فشاركهم في الالعاب والمسرات

ثم قال : قد تحققت يا اعزائي ان الانسان خلق ليكون سعيدا فهو سعيد بالقوة كما انه كاتب بالقوة لكنه لا يعلم الذرائع المؤدية الى الحصول على السعادة والتمتع بها الا اذا كشف الله عن بصيرته واراه نورا يهديهِ في ظلمات الطريق

الفريد : لاتوجد السعادة مالم تتوفر اسبابها وقد تشعبت آراء الباحثين وتباينت في ماهية تلك الاسباب فبعضهم يقول ان السعادة تقوم بكثرة المال ونفوذ الكلمة ونجاح المسعى وحسن السمعة وصحة الجسم والعقل وعندي انها تقوم بتغلب طيبات العيش على مكارهه

توبر : ان صحيح العقل والجسم ينال حظاً وافرا من السعادة

سكروج : الفضيلة هي قوام السعادة فمن يحظى بها ينل السعادة ولا تكدر الامراض راحته اذا لم يكن هو سببها

امرأة الفريد : انك لمصيب بهذا الرأي

سكروج : ذو الفضيلة يهتم بالنفع العام ويسعى بتخفيف الشقاء عن بني الانسان ويجتهد بتهذيب اخلاقهم وتنوير اذهانهم اذ انّ لا سعادة لمن يعيش بين الاشقياء ولا ينتفع بذكائه من تحيط بهِ الاغبياء

وفي اليوم التالي بكّر سكروج وذهب الى مخزنهِ ففتحه وجلس عند الباب وكان الكاتب روبرت قد تاخر عن الوقت الذي كان يجيء فيه عادة فضلا عن انه كان قد وعد سكروج بان يأتي باكراً في ذلك اليوم كما رأيت آنفا فقال سكروج في نفسه لامزحنّ معه

ولما اتى الكاتب دخل المخزن وشرع يكتب بسرعة عظيمة فتظاهر سكروج بالغضب وصاح بهِ قائلاً : لم تاخرت

الكاتب : قد سهرت البارحة طويلا بداعي العيد فتأخرت اليوم رغما عن ارادتي ولي الرجاء ان عفوكم يستغرق زلّتي هذه

سكروج : هذه الحال تحول دون راحتي فتغييرها من باب اولى

وهجم على روبرت فضربه على صدره واذ ذاك همّ روبرت ان يضربه بالمسطرة وينادي لعابري السبيل حتى يمسكوه فيكتفو

ويؤدبوه . ولكن سكروج تبسم وقال له لا تنزعج يا عزيزي روبرت لان ما فعلته معك الآن هو على سبيل المزاح فكل عيد وانت بخير وكن مسروراً فقد عزمت على ان ازيد راتبك واعتني بعائلتك واسعى لراحتك وهناء عيشك

ومنذ ذلك الحين صار سكروج لروبرت وابنه توما الذي لم يمت بمثابة اب حنون يبذل في سبيل نجاحهما النفس والنفيس . وعاش عيشة فاضلة شهد له بها معاصروه الاَّ ان بعضهم سخر بهِ اما هو فلم يكترث بهم اذ كان متيقناً ان لا خير ظهر على الارض الا وقابله البعض في اول الامر بالهزء والاحتقار لزعمهم انه وهمٌ وهم المتوهمون ولو ادركوا حقائق الامور لضحكوا على انفسهم لكنهم لا يعلمون .

وبقي سكروج كريم النفس سعيداً متمتعاً براحة الضمير الى ان ستأثرت به رحمة الله تعالى ونقلته الى دار النعيم

تمت

DATE DUE

828:D548cA:c.1
عبد الملك ،جرجس
سكروج: رواية اخلاقية اجتماعية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01031885

828
D548cA

813
D54A